مجلة الإحياء، المجلد: 18، العدد: 21، جوان 2018، ص - ص: 113 – 128
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

وسائل القرآن الكريم في تثبيت العقيدة الإسلامية

Means of the Holy Quran in the consolidation of Islamic faith

طالبة الدكتوراه: **فريدة زعبوب**
كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة1
zaaboubfarida@outlook.com

تاريخ الإرسال: 2018/05/10 تاريخ القبول: 2018/05/29

ملخص:
تبحث هذه الوريقات في مدى فعالية القرآن الكريم في تثبيت العقيدة الصحيحة للإنسان وغرسها في النفوس، لأنها هي أساس الدين وقاعدته الأولى التي يبنى عليها ولا يتم هذا الأمر إلا من خلال مجموعة من الوسائل التي استخدمها القرآن الكريم والتي تحقيق السعادة المادية والمعنوية المنشودة.
الكلمات المفتاحية: العقيدة الإسلامية؛ الوسائل؛ القرآن؛ تثبيت العقيدة.

Abstract:
These documents examine the extent if the effectuveness if the holy Quran in estabiliching the correct doctrine and installing it in the souls, because it is the basis of religion and the basis on which it is built and this stability can be achieved only through a variety of means used by the holy Quran and which achieve the desired physical and moral happiness.

مقدمة:

إن الإسلام مبناه لا يقوم إلا على العقيدة الصحيحة التي تكون القاعدة الأساسية في بناء الدين، وعليها يضبط المؤمن كل تصرفاته، وحركاته، وتمكنه من فهم سر وجوده ومصيره ومآله، وعلى ضوئها ينطلق لممارسة حياته فيعرف بواسطتها صلته بربه وبالكون، ومن حوله من المخلوقات وعليها تبنى أحكام الشريعة والنظام والأخلاق في كل جوانب الحياة.

ونظرا لأهميتها اعتنى العلماء قديماً وحديثاً بدراستها، فأفردوا لها العلوم والمناهج الخاصة لتوضيحها، وبما أن القرآن الكريم هو مصدرها الأول ومرجعها الأساس، فلا شك أنه أشتمل على الكثير من الآيات التي تثبت عقيدة الإنسان لتعيده إلى سبيل خالقه، ومن المحال أن الله خلق الإنسان ليتركه دون عناية ربانية يتعهده بها حتى لا يضل ولا يشقى في هذه الحياة الدنيا، ومادام القرآن أنزل للناس كافة قال

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: 57)، فمن البديهي والمنطقي أن يشتمل القرآن الكريم على وسائل متنوعة لتثبيت هذه العقيدة وغرسها في النفوس، وتحبيبها في القلوب، ليكون لها الأثر الايجابي في السلوك.

المطلب الأول: مفهوم العقيدة وبيان أهميتها في حياة الإنسان

الفرع الأول: العقيدة لغة

عقد العسلُ والرُّبُ ونحوهما يَعقدُ: غلظ، وكلام مُعقد: مغمض. وأعتقد الشيءُ: صلب، وأشتد. وتعقد الإخاء: استحكم. وجَمَلٌ عقِدُ: قويٌّ. والعقدة من الشجر: ما اجتمع وثبت أصله. وأعتقد كذا بقلبه: أي عقد رأي. وعقدة النكاح والبيع: وجُوبُهُما[1].

جاء في تاج العروس: عقد الحبل والبيع والعهد يعقده عقداً فاعتقد: شدَّهُ.

واستعمل في التصميم والاعتقاد الجازم، والعقد: الضمان والعهد، وعقد فلان عنقه إلى فلان: إذا لجأ إليه[2]. أما صاحب الصحاح فقال: عقد، عقدت الحبل والبيع والعهد فانعقد... والعقيدة الصيغة والعقدة المكان الكثير[3]. وبتتبع الدلالات اللغوية لمشتقات الجذر (عقد)، تبين أن له عدة معاني: الربط، الشدة والصلابة، الوثوق، التثبيت، القوة، الإحكام.

ونجد أن هذه المعاني تدور كلها حول الربط بإحكام وقوة وتثبيت الشيء بالقوة حتى لا ينفلت، وبعد عرض المعنى الإصلاحي للعقيدة سوف نلاحظ الترابط بين المعاني اللغوية والمعاني الاصطلاحية، وهذا ما سنعرضه في الفرع الثاني.

الفرع الثاني: العقيدة اصطلاحا

قد دل كتاب الله المبين وسنة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، على أن العقيدة الصحيحة هي تتلخص في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره هذه الأمور الستة هي أصول العقيدة الصحيحة[4].

عرفها صاحب العقيدة الوسطية شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمة الله عليه) هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه العزيز وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل[5] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: 11).

- العقيدة هي الإدراك الجازم المطابق للواقع[6].
- هي إدراك جازم ثابت مطابق للواقع عن دليل وبرهان[7].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- العقيدة هي التصديق الجازم بالقلب المحرك للعواطف والموجه للسلوك[8].

والتعريف الإجرائي للعقيدة هو: التصديق الجازم المطابق للواقع بالدليل والموجه للسلوك. وبما أن العقيدة تعدُ العنصر الجوهري في حياة الإنسان فلابد من بيان أهميتها في دنيا الناس.

الفرع الثالث: بيان أهمية العقيدة في حياة الإنسان

1- **العقيدة أساس الدين وسبب لقبول الأعمال:** معلوم بالأدلة الشرعية من القرآن والسنة أن الأعمال والأقوال إنما تصح وتقبل إذا صدرت عن عقيدة صحيحة، فإذا كانت العقيدة غير صحيحة باطلة وفاسدة بطل ما يتفرع عنها من أعمال وأقوال قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة: 5)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر: 65).

إذا فالعقيدة أساس الدين، والدين الإسلامي بناء متكامل يشمل جميع حياة الإنسان منذ ولادته وحتى مماته وحتى مصيره الذي يصير إليه بعد الموت، وهذا البناء الضخم يقوم على العقيدة الإسلامية المقررة لحقيقة عظيمة وهي وحدانية الله الخالق، وهو المنطلق السليم والمتين لكل إنسان، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: 162- 163).

فأول أهمية للعقيدة في نظري هي العقيدة أساس الدين وسبب لقبول الأعمال، ولذا نجد أن غير الموحد (المشرك بالله) أعماله غير مقبولة ولو كانت صالحة ونافعة للمجتمع كالأعمال الخيرية التطوعية التي تقوم بها الجمعيات والمنظمات غير الحكومية العالمية (أطباء بلا حدود، الصليب الأحمر) وغيرها لأنها صادرة عن عقيدة محرفة مشركة قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (النور: 39).

ولذلك يعتز المسلم بانتمائه إلى الدين الحنيف الصحيح المقبول عند الله ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: 85)، حتى أن الأعمال البسيطة بالإخلاص وبالعقيدة الصحيحة تنقلب إلى طاعات وحسنات.

2- **تحقق الأمن والاستقرار النفسي:** ولما جعل الله سبحانه وتعالى الدين هو الفطرة الإنسانية قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم: 30)، فالإنسان في حاجة ماسة إلى العقيدة والإيمان بالله تعالى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ورحمته، والإيمان باليوم الآخر، والجزاء العادل وسؤال الثواب في دار الخلود، ليكتمل استقراره واتزانه النفسي، فيستقبل مشاكل الحياة بنظرة متفائلة وصبر جميل[9]. وهذه أهمية أخرى للعقيدة بالنسبة لحياة الإنسان حيث تحقق له الأمن والاستقرار النفسي ليعيش التوازن النفسي بعيداً عن التمزقات الداخلية التي يعاني منها المجتمع الغربي الكافر.

يقول العالم الأمريكي الفسيولوجي "أندروكونواي إيفي": "إن أحداً لا يستطيع أن يثبت خطأ الفكرة التي تقول أن الله موجود كما لا يستطيع أحداً أن يثبت صحة الفكرة التي تقول إن الله غير موجود، وقد ينكر منكر وجود الله تعالى ولكنه لا يستطيع أن يؤيد إنكاره بدليل، وأحيانا يشك الإنسان في وجود شيء من الأشياء ولابد في هذه الحالة أن يستند شكه إلى أساس فكري، ولكني لم أقرأ ولم أسمع في حياتي دليلا عقليا واحداً على عدم وجود الله، وقد قرأت وسمعت في الوقت ذاته أدلة كثيرة على وجوده، كما لمست بنفسي بعض ما يتركه الإيمان من حلاوة في نفوس المؤمنين، وما يخلفه الإلحاد من مرارة في نفوس الملحدين"[10].

3- **العقيدة الإسلامية نعمة إلهية:** العقيدة الإسلامية الصحيحة أعظم نعمة على الإطلاق بنعم الله لها على المؤمن: "إن أعظم نعمة على الإطلاق بنعم بها الله على المؤمن عقيدته الصحيحة، ذلك أن أية عقيدة لابد أن تنعكس على السلوك، ولو أن العقيدة كانت في منأى عن السلوك فاعتقد ما شئت، ولكن ما من عقيدة إلا ولها منعكس سلوكي، ولأن السلوك أساس تقييم الإنسان عند الله، وأساس سعادته وشقائه في الدنيا والآخرة لذلك تنطلق الأخطاء من عقيدة فاسدة"[11].

4- **العقيدة تقوم السلوك وتهذب الأخلاق:** ونستنبط من كلام راتب النابلسي أهميتين للعقيدة ذات الأثر العظيم في حياة الإنسان وهي: العقيدة تُقَومُ السلوك وتهذب الأخلاق من خلال استشعار مراقبة الله، والثانية تحقق للإنسان الفوز والفلاح في الدارين الدنيا والآخرة.

5- **سبب للفوز في الدنيا والآخرة:** ولا يفوز هذا الإنسان ولا يفلح ولا يعيش السعادة المنشودة إلا أن غذى شقة الروحي بما أنه خُلق من مادة وروح حيث نفخ الله فيه من روحه الكريمة، فهو في حاجة إلى تلبية الشقين المادي والروحي، فنجد من السهل تلبية حاجاته المادية من أكل وشرب وشهوة ومتاع وغيرها من متطلبات المادة (الطين) والمتوفرة بشكل واسع، ولكن شقه الروحي يبقى في فراغ رهيب لا يملئه إلا بتقوية صلته بخالقه وهي الأهمية الموالية للعقيدة الصحيحة تقوية الصلة بين الخالق والمخلوق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

6- **العقيدة من ضروريات الإنسان:** وعندما يشبع الإنسان شقه الروحي بتقوية صلته بربه ومنه يستطيع أن يفهم سر هذا العوز النفسي الضروري الذي كان يصارعه ومن هنا تتجلى أهمية العقيدة في كونها (تعد من ضروريات الإنسان التي لا غنى له عنها ذلك أن الإنسان بحسب فطرته يميل إلى اللجوء إلى قوة عليا يعتقد فيها القوة الخارقة والسيطرة الكاملة عليه وعلى المخلوقات من حوله، وهذا الاعتقاد يحقق له الميل الفطري التدين)[12].

7- **العقيدة الأساس الذي تقوم عليها الشريعة، وتمكن الإنسان من معرفة حقيقة وجوده ومصيره:** يتحقق الميل الفطري للتدين يبحث الإنسان عن شرائع يطبقها في تدينه هذا ولأن (العقيدة هي الأساس الذي يقوم عليه الشريعة فلا يتأتى وجود الشريعة بدون العقيدة لأنه لا قيمة لأي عمل بدون العقيدة كما لا يتأتى وجود العقيدة بدون شريعة فهما أمران متلازمان لا يجوز الفصل بينهما، فمن أمن بالعقيدة لابد أن يؤمن بالشريعة، ومن عمل بالشريعة فلابد أن يربطهما بالعقيدة... وعليه فمن أخذ بالعقيدة ولم يعمل بالشريعة، أو عمل بالشريعة دون ربطها بالعقيدة لا يكون مسلماً)[13].

وما دامت العقيدة أساس تقوم عليه الشريعة، فبتطبيق شرائع الله التي شرعها لعباده ينطلق الإنسان في هذه الحياة سعياً وراء الطاعات مواظبا على العبادات عارفاً لسر وجوده على هذه المعمورة مدركاً لوظيفته الأساسية وهي عبادة الله وتعمير الأرض، مصدقا بأركان عقيدته مؤمن باليوم الآخر، وهو جزء لا يتجزأ من العقيدة الصحيحة، وهنا تتداخل الأهميات فيما بينهما لتحقق وحدة متلاحمة لا نستطيع الاستغناء عن واحدة دون الأخرى، فتبرر أهمية تمكين الإنسان من معرفة حقيقة وجوده ومصيره.

8- **تدفع الإنسان إلى الجد والاجتهاد وتحرره من عبودية غير الله:** وإذا تحققت له هذه المعرفة، حاول العمل مجداً مجتهداً متقناً لأعماله الدنيوية مخلصا في أداء رسالته – الاستخلاف في الأرض – متحرراً من عبودية الأشخاص والأموال والأهواء راغباً في تحقيق معنى العبودية الحقة وهذه من بين أهميات العقيدة في حياة الإنسان التي لا تعد ولا تحصى تدفع الإنسان إلى الجد والاجتهاد تحرر الإنسان من عبودية غير الله، هذه بعض ما يتعلق بأهمية العقيدة وغيرها كثير.

إن من أهداف القرآن الكريم هو بناء العقيدة الصحيحة التي يعيش بها الإنسان حياته المطلقة التي تمتد إلى الحياة الأخرى فينعم في حياته الدنيوية بنشوة الإيمان الذي يحقق له الاستقرار والفوز والفلاح والتمكن والتأييد فتتحول حياة في الدنيا إلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جنة فوق الأرض، مهما واجهته المنغصات، ويسعد بعد ذلك في الآخرة بالنعيم الأبدي المقيم. ولهذا اعتمد القرآن على وسائل متعددة مختلفة باختلاف الطبائع البشرية، خادمة لأهداف القرآن في الرجوع بهذا الإنسان وإعادته إلى سبيل الجادة وطريق ربه.

ويتسع الخطاب القرآني بوسائله ليشمل جميع البشر كافرهم ومسلمهم، أبيضهم وأسودهم، الأعجمي قبل العربي مادام التفاضل بالتقوى فقط، تسقط الاختلافات أمام منهج القرآن الفذ في عرض هذه الوسائل المؤثرة في الإنسان منذ فجر الإسلام الأول إلى يوم الناس هذا، والسؤال المطروح هنا: ما هي الوسائل التي نستطيع الاعتماد عليها الآن لمحاولة إصلاح أو ترميم على الأقل الفساد الأخلاقي الذي ضرب شباب الأمة الإسلامية فأسقطهم في وحل الرذائل وبراثين المعصية ضاربين بعرض الحائط كل القيم والمبادئ الإسلامية مجاهرين بالخطيئة غير مبالين بالحلال والحرام، شبه منكرين ومنكرين للحساب والعقاب، جاحدين لنعم الله عليهم، غير مدركين لحتمية الموت، رغم استفحال هذا الأخير في أوساطهم بشكل رهيب، بموت المفاجئة حيناً وبجرعة زائدة للمخدرات، ناهيك عن كوارث حوادث المرور المروعة لماذا هذا الإعراض عن قيم الإسلام؟ والأخلاق الفاضلة؟ وبسبب هذا الواقع المخزي، سوف نحاول عرض بعض الوسائل التي استخدمها القرآن لتثبيت عقيدة المسلم.

المطلب الثاني: وسائل القرآن الكريم في تثبيت العقيدة الإسلامية وأنواعها

الفرع الأول: تعريف الوسائل

1- لغة: الوسائل جمع وسيلة على جمع فعيلة، وقد تجيء الفعيلة بمعنى الآلة.

قال ابن فارس: "وَسَلَ" الواو، والسين، واللام، كلمتان متباينتان جدا.

الأولى: الرغبة والطلب، يقال وسل، إذا رغب، والواسل الراغب إلى الله عز وجل، وهو قول لبيد: بلى كل ذي دين إلى الله واسل. ومن ذلك القياس الوسيلة[14].

وقال الراغب الأصفهاني: الوسيلة التوصل إلى الشيء برغبة، وهي أخص من الوصيلة لتضمنها لمعنى الرغبة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ (المائدة: 35).

وقال الجوهري: الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوسيل والوسائل والتوسيل والتوسل واحد.

يقال: وَسَلَ فلا إلى ربه وسيلة، وتوسل إليه بوسيلة أي تقرب إليه بعمل[15].

2- **اصطلاحا**: معنى الوسائل في اصطلاح الأصوليين: اصطلاحان عام وخاص. الوسائل في الاصطلاح العام هي الطرق المفضية إلى المصالح والمفاسد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعبارة أخرى هي الطرق المؤدية إلى المقاصد. أما الوسائل في الاصطلاح الخاص: فهي الطرق المفضية إلى تحقيق مصلحة شرعية[16].

فكانت الوسائل بذلك مناسبة لكل زمان ومكان خادمة لموضوع العقيدة، مادام الإنسان هو دائم نفس الإنسان الذي عبد الأصنام، وكذب الأنبياء، وقتلهم. نريد اليوم أن يعود بهذا الإنسان، وبهذه الوسائل إلى عقيدة صحيحة ثابتة ثبات هذا الدين.

تعريف وسائل القرآن الكريم: هي أدوات تستنبط من القرآن الكريم للتثبيت العقيدة وترسيخها في النفي. من بين الوسائل التي أحسبها الأولى من حيث التأثير والنفع وإمكانية الإصلاح والتثبيت - إثارة العقل -.

الفرع الأول: وسائل تخاطب العقل والوجدان

1- **إثارة العقل**: ينوه القرآن الكريم بالعقل تنويها كبيراً، ويبرز أهميته، وترفع من قيمته، ويعلي من مكانته، ويخصص له مساحة واسعة في آياته المسطورة، حيث ذكر بألفاظه ومشتقاته زهاء خمسين مرة، وهذا نظراً لأهميته في حياة الإنسان فهو سر التكريم والتفضيل والتمييز، جعله مناط للتكليف ومنشأ الفكر وأداة للتفريق فيه الضار والنافع، به أستنبط العلماء الأحكام في القضايا المستجدة فكان باب الاجتهاد، والإبداع، ولهذا يجعله القرآن وسيلة عظيمة لتثبيت عقيدة صاحبه الإنسان، بتقديم الأدلة والبراهين على وجود الخالق، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله عليه): "فالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة وهي طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية، دل عليها القرآن، وهدى الناس إليها، فإن نفس كون الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن ومخلوقاً من نطفة ثم علقة... فإن هذا يعلمه الناس كلهم بعقولهم، فهو إذن عقلي، لأنه بالعقل تعلم صحته، وهو شرعي أيضا"[17].

والقرآن يخاطب العقل بأسلوب الإقناع المؤيد بالأدلة العقلية القطعية التي لا تحتمل الشك، والظن، وبالمنطق السهل الممتع الموافق للواقع، بعرض آيات الله المنظورة بآيات الله المسطورة فيحفز العقل إلى النظر والتفكر والتدبر فيها، وفي كيفية تشكلها.

"إن المتتبع لمجموعة النصوص المتعلقة بالنشاط العقلي، نجد أن القرآن الكريم يدفع بالعقل إلى النشاط والحركة الفكرية باستعمال جميع ملكاته الذهنية، ويحيط نشاطه بجملة من الإشارات والتنبهات والضوابط التي ينبغي على الإنسان العاقل أن يراعيها وينضبط بها أثناء إعماله للعقل في قضايا الكون والحياة والإنسان، وهذه الضوابط هي عبارة عن مبادئ أو قوانين يسير وفقها العقل مثل مبدأ الهوية ومبدأ السلبية، ومبدأ عدم التناقض، ومبدأ الغائية"[18].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: 164).

ويقول ابن عاشور في قوله تعالى: "﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، المقصود من هاته الآية إثبات دلائل وجود الله تعالى ووحدانيته ولذلك ذكرت أثر ذكر الوحدانية لأنها إذا أثبتت بها الوحدانية ثبت الوجود بالضرورة... وقد قرر الله في هاته الآية دلائل كلها واضحة من أصناف المخلوقات وهي مع وضوحها تشتمل على أسرار يتفاوت الناس في دركها حتى يتناول كل صنف من العقلاء مقدار الأدلة منها على قدر قرائحهم وعلومهم"[19]. وهنا يبين القرآن أن القدرات العقلية تتفاوت بين الناس رغم وضوح الأدلة على وجود الخالق.

"... تذكير بآية أخرى عظيمة لا تخفى على أحد من العقلاء وهي اختلاف الليل والنهار، اعني اختلاف حالتي الأرض في ضياء، وظلمة، وما في الضياء من الفوائد للناس وما في الظلمة من الفوائد لهم لحصول سكونهم واسترجاع قواهم المنهكة بالعمل. وفي ذلك آية لخاصة العقلاء إذ يعلمون أسباب اختلاف الليل والنهار وانه من آثار دوران الأرض حول الشمس في كل يوم ولهذا جعلت الآية في اختلافهما وذلك يقتضي ان كلا منهما آية"[20].

وقال أيضا: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (يونس: 5).

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: 21).

يقول الرازي في تفسير هذه الآية "يحتمل أن يقال المراد في خلق الأزواج لآيات، ويحتمل أن يقال في جعل المودة بينهم آيات، أما الأول فلابد له من فكر لأن خلق الإنسان من الوالدين يدل على كمال القدرة ونفوذ الإرادة وشمول العلم لمن يتفكر"[21].

حتى في جعل المودة والرحمة بين الزوجين مدعاة إلى إعمال العقل والتفكر لأن ذلك فيه من دلائل قدرة الله في الخلق ما يدعو إلى إعمال العقل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فنجد في هذه الآيات التصريح بضرورة إعمال العقل والتفكر للوصول إلى إيجاد الخالق، فيحث العقول على البحث لاكتشاف الحقائق المبثوثة في الأرض والنفس والأفاق.

وبتتبع الألفاظ الصريحة من الآيات الكريمة الدالة على هذه الوسيلة "إثارة العقل" نجدها لها علاقة بالعقل من بعيد أو قريب (يعقلون، يتفكرون، يتدبرون، يفقهون، يذّكرون، العالمون، أولى الألباب، أولوا الأبصار، يعقلها، ....) وغيرها كثر.

وإذا تدبرنا الكلام القيم لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمة الله عليه -: "إن الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحُسْن والاستقامة..." نجد نحن مأمورون بالتدبر. إنه ربط بين وسيلتين من وسائل القرآن "إثارة العقل" و"إثارة الوجدان" وهي الوسيلة الموالية.

2- **إثارة الوجدان**: مادام الإنسان عقل ومشاعر وأحاسيس، فهناك من يحكم عقله في قضايا الكون والحياة، وهناك من تغلب عليه العاطفة فيحكم المشاعر والأحاسيس وهذا ما سلكه القرآن بأساليبه الرائعة المتسقة المتكاملة ليحرك حسّ الإنسان للعودة بها إلى عقيدة صحيحة، فيذكر بنعم الله عليه التي لا تعد ولا تُحصى لتستيقظ فطرته المنتكسة وتكون الإذابة والعودة إلى الله، وهذا هو ما أراده شيخ الإسلام بكلامه عن خلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، ومن أعظم النعم إطلاقا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (الانفطار: 6-8)، وقال تعالى في سياق التذكير بالنعم: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: 78)، فما أعظم نعمة السمع والبصر والعقل في حياة الإنسان ولكنه جاحدٌ لها بعدم الشكر.

وهنا أيضا نلحظ التكامل بين إثارة العقل والوجدان في أن الله جعل هذه النعم العظيمة (السمع والبصر والعقل) هي أدوات التعلم الذي لا يكون إلا بالعقل.

ولا يستطيع الإنسان العيش لو لم يُسخر له الكون لخدمته وهنا أيضا إشارات صريحة من القرآن على ذلك، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (النحل: 65)، ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الرعد: 4)، ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ (البقرة: 164)، ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾(النحل: 5)، ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ (النحل: 69). وحتى أسلوب القرآن في عرض الفرائض والعبادات كعبادة الصوم ينتهج الأسلوب الوجداني ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: 185).

وبعد تحريك حس الإنسان بتذكيره بنعم الله عليه وألائه ليجد في العودة إلى الله لذة ومتعة، يسعى القرآن لتعميم وتثبيت عقيدته بإشعاره بعظمة هذا المنعم وقدرته الباهرة المتجلية في مظاهر الكون وهي وسيلة "التذكير بقدرة الله".

الفرع الثاني: وسائل تنبه إلى قدرة الله

1- **التذكير بقدرة الله**: والتي لها الأثر الملحوظ في تثبيت العقيدة الصحيحة وغرسها في النفوس، وتتجلى هذه الأخيرة في كل أمور الخلق والتدبير والتصريف والإحياء والإماتة والظواهر الكونية العظيمة التي لا يستطيع أحدا إنكارها أو تكذيب وجودها، قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (لقمان: 10).

فانظر أيها الإنسان إلى السماء فهل رفعت بركائز وأسس وأبحث عن حكمة خلق الجبال ستجدها لتثبت الأرض لنعيش فيها الاستقرار، وأقّر بحقيقة أن الماء أساس الإنبات على الأرض، وأعترف بأن الزوجية موجودة في جميع المخلوقات، وليس بعد هذه القدرة مجال للظن أو الشك في وجود صاحبها (القادر المقتدر) سبحانه وتعالى، يقول صاحب التحرير والتنويل في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: 49).

والمراد "أن في خلق الله الأشياء مصاحب لقوانين جارية على الحكمة"[22]، والتذكير بقدرة الله هي الوسيلة الكبرى للتذكير الدائم بعظمة الله وآيات قدرته في الآفاق وفي الأنفس حتى يخشع القلب ويستسلم لربه، ويتوب إليه، وربما تكون هي الوسيلة الثابتة التي نجدها حاضرة في الخطاب القرآني سواء بالعقل، أو بالوجدان، حيث "يثير القرآن الوجدان بطريقته الجميلة المعجزة، ويزيل الغشاوة التي ترين على القلب وتجعل الحسَّ يتبلَّد، ويَعْرِض آيات الله في الكون في صورة حيَّة ينفعل بها الوجدان كأنه يراه لأول مرة كأنها جديدة، وحين ينفعل بها الوجدان ويتأثَّر، ويتحرك الخيال لتتبع المشهد المعروض وتتحرك المشاعر بشتى الانفعالات، عندئذٍ يوجِّهه القرآن إلى أنَّ وراء هذه المشاهد كلِّها قدرة الله المعجزة، وأن صانعها وبارئها هو الله سبحانه وتعالى فينبغي إذن عبادة ذلك الإله القادر، والتوجُّه إليه وحدَه بالعبادة دون سواه، والتلقِّي عنه في كل أمر من الأمور"[23].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهنا يجدر بنا أن نشير ونذكر بأن إثارة الوجدان وسيلة يسلكها القرآن لغرس وتثبيت العقيدة في النفوس لا تقتصر على جانب واحد من جوانبها، وإنما لها علاقة تكامل مع جوانب متعددة، وهذا هو منهج القرآن المتكامل الفذ الفريد المبرأ من الانقطاع والتمزق الملحوظين في الدراسات الفلسفية التأملية، التي تضعها أساليب الأداء البشرية. فهو يعرض الوسائل الواحدة تلو الآخرة في سياق موصول ممتع، يتميز بالحيوية الدافعة الموحية مع الدقة والتحديد الحاسم.

2- **التذكير بمراقبة الله**: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "إن الدين قول وعمل، قول والقلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح وإن الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية".

مادام الدين قولاً وعملاً فإن القرآن يذكر الإنسان بأن الله معه يراقب أعماله ويحصي تحركاته بدقة عظيمة وقدرة باهرة فلا يعزب عند سبحانه وتعالى الذرة في السماوات والأرض ولا أصغر منها مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (يونس: 61).

والإنسان إن شعر بمراقبة الله له وشهادة الملائكة على أعماله يخشى عقاب ربه فلا يعصيه وهو المطلوب حيث نجد في الخطاب القرآني أن وراء التحذير من مراقبة الله التامة وعلمه الشامل يتبعه دائما العقاب والعذاب الشديد والأليم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (البقرة: 196)، ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (فصلت: 50)، فبذكر الأعمال يتبع الحساب والعقاب.

3- **مناقشة الانحرافات**: يقع الإنسان في الانحرافات لا محالة سواء أكانت عقدية أم سلوكية، بسبب الجهل والعناد والإعراض تارة وبسبب المكابرة والتقليد والإتباع والغفلة تارة أخرى، وهذا الأمر كان له الأثر الواسع في شيوع ظاهرة التحريف للكتب السماوية السابقة فضلت الأمم وأتبعت معتقدات وتصورات باطلة، فوقعوا في الشبهات والأفكار وردوا ظلماً دعوات الأنبياء والرسل، فكان لزاماً دحض ورد الانحرافات بإقامة الحجج والبراهين والدعوة إلى الجدل والمناقشات بأساليب صحيحة يقبلها العقل، فناقش القرآن منكري الألوهية والربوبية والبعث والنبوة وانحراف اليهود والنصارى، وشركهم وتصورهم للإله أو إدعاء النبوة لله وغيرها ويعرض القرآن هذه الوسيلة مستعملا ألفاظا مثل (قيل، سيقولون) (قل، قالوا) (قالوا، قالوا) وغيرها، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (87) قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (88) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ (89) بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (90) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون: 86-91).

يقول صاحب الضلال في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ....﴾ "وهذا الجدل يكشف عن مدى الاضطراب الذي لا يفيء إلا منطق، ولا يرتكز إلى عقل؛ ويكشف عن مدى الفساد الذي كانت عقائد المشركين قد وصلت إليه في الجزيرة العربية عند مولد الإسلام...، فهو سؤال عن الربوبية المدبرة، المصرفة للسماوات السبع والعرض العظيم...، والعرش رمز للاستعلاء والهيمنة على الوجود...، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ ولكنهم مع ذلك لا يخافون صاحب العرش ولا يتقون رب السماوات، وهم يشركون معه أصناما مهينة"[24].

وهذه الآية الكريمة صالحة للجدال ومناقشة الكفار في عقائدهم المنحرفة في كل حين وعصر، لأن السؤال منطقي: من خلق السماوات؟ من ربها؟ لا يستطيع منكرا أو ملحدا ان ينسبها إلى بشر أيا كان عالماً، أو ملكاً، فكان النقاش في زاوية ضيقة لا يستطيع معها الكافر أن يرد إلا بالرد المنطقي ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾.

فقدم الأدلة التي لا تحتمل الظن ولا يستطيع الخصم الصمود أمامها أو نفيها، كما جادل من يتبع ويقلد الآباء والأجداد دون علم أو دراية، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: 170)، وبين لهم القرآن أن سبب الضلال والكفر هو عدم إكمال العقل لأن العقل سبيل الهداية.

وجادل اليهود والنصارى في ادعائهم وزعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه بالمنطق الرشيد والأسلوب السهل البسيط، كيف يعذبكم إذن فلو كنتم أبناءه ما عذبكم "فأسلوب القرآن سهل يبين أن هذا القرآن ليبن من مقدور البشر وأنه يصدق ما قبله وأن فيه خبر ما لا يعلمه أحد في الأرض ولا في السماء إلا الله"[25]. ودلهم وأرشدهم إلى اعتماد العلم والحجة في الحوار ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ (الحج: 08)، وما أكثر ما يرد في القرآن ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ (البقرة: 111، الأنبياء: 24، النمل: 64، القصص: 57)، ﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: 66)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۙ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ۚ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (غافر: 56).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعد النقاش والحوار والجدار وبيان تفاهة وبطلان عقائد وتصورات الكفار، تخرج على وسيلة أخرى من وسائل تثبيت العقيدة وهي:

الفرع الثالث: وسائل ترسم صفات الكفار وصفات المؤمنين

1- **رسم الصور المنفرة للكفار**: يرسم القرآن وكأنه بصدد عرض صورة فنية ولوحة تجسد صفات الكفار الخبيثة الذميمة حتى ينفر منها القلب ويجتنب الإنسان إتباعها لبشاعتها ويبين ما ينتظر هؤلاء المجرمين من حريق وجهنم مصيراً يحذر من إتباعها والوقوع فيها لتجنب السعير والمقام المخزي في الدنيا والآخرة وهذه بعض الكلمات المفتاحية للدلالة عليها (البغى يغير الحق، الفساد في الأرض، نقض عهد الله، يأخذون الربا، يصدون عن سبيل الله، أكل أموال الناس بالباطل، القنوط، إتباع سبل الشيطان، .... وغيرها كثير).

﴿لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (49) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (فصلت: 49-50). ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (160) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء: 160-161). الحمد لله الذي بين لنا صفات الكفار للحذر والنفور من أعمالهم لأن الله وعدهم بالعذاب السرمدي في النار والعياذ بالله.

بعد التحذير من صفات الكفار القبيحة وبيان مصيرهم المخزي وأنهم شر البرية، وأن الكافر يتمنى يوم القيامة ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ (النبأ: 40)، وقبل ذلك يتمنى أنه لم يكفر ويطالب برّده وإعادته إلى الدنيا ليعمل صالحا ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنعام: 27).

إذن مادام الكافر يتمنى أن يكون مؤمنا لما يرى الحق، فكان لزاما بيان صفات المؤمنين وأسلوب القرآن في عرضها ورسم صورتها ولوحتها الفنية الجميلة الملونة المزخرفة حتى تُرغب فيها ويحبب القلوب إليها ويتنافس الإنسان في التحلي بها لما لها أثر على النفس لأن النفس آلفت حب الجمال.

2- **رسم الصور المحببة للمؤمنين**: حرص القرآن على تبين صفات المؤمنين لما لها من عظيم الأثر والتأثير في السلوك بالتهذيب والأخلاق بالتقويم لأن البشرية اليوم في حاجة ماسة إلى التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، لما وصلت إليه من فساد وانحلال أخلاقي وسفور، فمدح القرآن أصحاب الأخلاق الحميدة مما لا يخفى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على أحد ما للمدح والتزكية من نتائج باهرة تكسب المحبة والمودة التي يحتاج إليها الإنسان لاستقراره النفسي، فبشعوره بحب الآخرين له وتزكيتهم لأخلاقه يعيش الهناء والسعادة والتوازن النفسي، وهذا الأمر يسعى اليه الجميع، وهذا المدح والتزكية ليس فقط للترغيب في الاقتداء، والإتباع لهم وإنما لعظم الأجر والثواب الذي ينتظرهم وهو الفوز بالنعيم الأبدي والمقام المحمود في الجنة التي وعدهم الرحمان ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: 133).

ومدح القرآن لهم متنوع بتنوع صفاتهم فنجده يمدحهم بأنهم الأبرار ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ (الإنسان: 5)، وتارة أخرى بأنهم سينالون رحمة الله ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: 71)، وتارة يمدحهم بأنهم هم أولوا الألباب ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: 269).

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: "﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ فيبين لنا بعد ذكر ما يعد هو جل شأنه به وما يعد به الشيطان ما نحن في أشد الحاجة إليه للتمييز بين ما يقع في النفس مع الإلهام الإلهي والوسواس الشيطاني، وتلك هي الحكمة.

فسر الأستاذ الحكمة هنا بالعلم الصحيح يكون صفة محكمة في النفس حاكمة على الإرادة توجهها إلى العمل، ومتى كان العمل صادرا عن العلم الصحيح كان هو العمل الصالح النافع المؤدي إلى السعادة... والمراد بإتيانه الحكمة من يشاء اعطائه آلتها العقل كاملة مع توفيقه لحسن استعمال هذه الآلة في تحصيل العلوم الصحيحة... إن الله جعل الخير الكثير مع الحكمة في قرن، فهما لا يفترقان، فكل حكيم عليم عامل مصدر للخير الكثير، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي لا يتعظ بالعلم ويتأثر به تأثرا يبعث على العمل إلا أصحاب العقول الخالصة من الشوائب والقلوب السليمة من المعايب"[26].

وهنا تداخل وتكامل وترابط واضح بين وسيلة إثارة العقل ورسم الصور المحببة للمؤمنين، وتارة أخرى يمدحهم بأنهم هم (المؤمنون، الخائفون، القانتون المقربون الخاشعون السائحون، التائبون، العابدون، المقسطون، الصادقون، الصابرون، الذاكرون، المعتدون، وأنهم عباد الله)[27].

وفي طريقة القرآن في الجمع بين الوسائل يقول السيد قطب (رحمة الله عليه) في تفسير لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام: 55)،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"فهو شأن عجيب!.. إنه يكشف عن خطة المنهج القرآني في العقيدة والحركة بهذه العقيدة! إن هذا المنهج لا يعنى بيان الحق وإظهاره حتى يستبين سبيل المؤمنين الصالحين فحسب، إنما يعنى كذلك ببيان الباطل وكشفه حتى يستبين سبيل الضالين المجرمين أيضا" وبهذا توضح صفات المجرمين الكفار وصفات المؤمنين الأبرار، "إن استبانة سبيل المجرمين ضرورية لاستبانة سبيل المؤمنين، وذلك كالخط الفاصل يرسم عند مفرق الطريق! إن هذا المنهج هو المنهج الذي قرره الله سبحانه وتعالى ليتعامل مع النفوس البشرية"[28]، نلحظ منهج القرآن الفذ في الفصل بين الفريقين.

الخاتمة: في ختام هذا البحث يمكن إجمال نتائجه في النقاط التالية:

1- إن القرآن الكريم يتضمن مجموعة من الوسائل لبناء العقيدة.

2- تتنوع وسائل وأساليب القرآن الكريم لتثبيت العقيدة الصحيحة وغرسها في النفوس.

3- توافق وسائل القرآن الطبيعة البشرية بختلافها وتتماشى مع الكينونة البشرية.

4- تنفرد وسائل القرآن في عناصرها وطريقة تناوله للكون والإنسان عن سائر الأساليب البشرية الكلامية والفلسفية والجدلية العقيمة.

5- وسائل القرآن الكريم صالحة للعرض في كل زمان ومكان لا تتعلق بمرحلة معينة دون سابقتها.

6- وسائل القرآن الكريم متكاملة متسقة فيما بينها تجمع العقل والوجدان والفطرة وصالحة لإقامة الجدل والحوار والرد على الانحرافات تحدد سبيل المجرمين ومنهجهم وعلاماتهم وكذلك سبيل المؤمنين، حتى لا يختلط السبيلان.

7- إن تحقيق الإنسان لسعادته في الدنيا والآخرة متوقف على حصول اليقين بالعقيدة والاطمئنان النفسي إليها، وذلك لا يكون إلا بهذه الوسائل المبثوثة في القرآن الكريم.

الهوامش:

[1]- لسان العرب، ابن منظور لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين، دار صادر بيروت، 1414هـ، ط 3، باب (العين)، مادة عقد.

[2]- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار أحمد فرج، مطبعة حكومة الكويت، 1965 هـ، باب (الدال) فصل (العين).

[3]- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط 4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1407هـ- 1987م.

[4]- العقيدة الصحيحة وما يضادها ونواقض الإسلام، سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الكتاب منسوخ على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

[5]- العقيدة الوسطية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق علوى بن عبد القادر السقاق، ج1، ص 1، مؤسسة الدرر السنية للنشر، 1433هـ، مكتبة الملك فهد الوطنية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[6]- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، الميداني (عبد الرحمن حبنك)، دار القلم، دمشق، ط 2، 1981، ص 124.
[7]- بناء المفاهيم، دراسة معرفية ونماذج تطليقية، ط 1، المعهد العالي للفكر الإسلامي، 1998، د. علي جمعة وآخرون، ج 1، ص 13.
[8]- العقيدة الإسلامية وأسسها، الميداني (عبد الرحمن حبنك)، دار القلم، دمشق، سوريا، 1988، ط 5، ص 32-33.
[9]- أهمية العقيدة في حياة المسلم، مقال منشور في موقع نور الله www.nourellah.com.
[10]- العقيدة، الباب الخالق يتجلى في عصر العلم، كتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون معلومات، ص 25، عدد صفحات الكتاب الورقي (33 ص).
[11]- أثر العقيدة في حياة الإنسان، موسوعة النابلسي، خطبة الجمعة لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، www.nabulsi.com.
[12]- أهمية العقيدة في حياة المسلم للشيخ الفاضل صالح بن فوزان الفوزان، موقع الإسلام .http://www.al-islam.com
[13]- أهمية العقيدة في حياة الإنسان، د. سعيد عبد الله عاشور، الأستاذ المشارك بقسم العقيدة كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية غزة، ص 2.
[14]- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، 1399 – 1979، دار الفكر، الباب وسم، ج 6، ص 110.
[15]- الصحاح، مادة وسل، ج 5، ص 143.
[16]- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، المحقق محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1425هـ- 2004م، ص148.
[17]- النبوات، العلامة شيخ الإسلام علم الأعلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية، تحقيق عبد العزيز بن صالح الطوبان، المدينة المنورة، الجزء الأول، ص 45.
[18]- المنهج القرآني في بناء العقيدة، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه العلوم في العقيدة الإسلامية، الدكتور قاسمي السعيد، 1434هـ- 1435هـ/ 2013م-2014م، ص 32.
[19]- التحرير والتنوير، ابن عاشور محمد الطاهر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج 2، ص77.
[20]- المصدر السابق، ص 78.
[21]- مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، تفسير الرازي، فخر الدين الرازي، دار الفكر، 1401-1981، ج32، ص 177.
[22]- التحرير والتنوير، ابن عاشور محمد الطاهر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج27، ص217.
[23]- منهج القرآن في بيان العقيدة، مقال منشور في موقع الإسلام articles.islam.web.net.media
[24]- في ظلال القرآن لسيد قطب، دار طيبة الرياض، السعودية، ط 1، 1407هـ-1978م، ج 5، ص243.
[25]- منهج الحوار في القرآن الكريم، عبد الرحمن حللي، موقع المقالات articles.islam.web.net.media
[26]- تفسير القرآن الحكيم، تفسير المنار، الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، تأليف محمد رشيد رضا، ط 2، 1422هـ- 1947م، دار المنار، القاهرة، ج 5، ص 243.
[27]- موقع الطريقة الشاذلية الرقاوية www.shazly.com.
[28]- في ظلال القرآن، ج3، الباب 50، ص 51.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com